حكايات
بنات أفكاري
أمنية يحيى
(رحيق البنفسج)
قصة
قصيرة
DES: CHIVA EMIN
غير متاح

غير متاح

أمنية يحيى

«رحيق البنفسج»

تصميم:-

غلاف خارجي: الشفاء أمين

غلاف داخلي: رحاب جمال

تعبئة وتنسيق: رحاب جمال

تدقيق لغوي: أمنية يحيى

عمل فريق جروب حكايات بنات أفكاري

https://www.facebook.com/groups/BanatAfkare/?ref=share_group_link

صفحة الكاتبة على الفيسبوك

https://www.facebook.com/profile.php?id=100089883139194&mibextid=ZbWKwL

إهـــــــداء

إلى من صدّقت بقيمة الحرف وآمنت بكلماتي حتى ترعرعت أمام ناظريها «شيماء محمد عبد الحافظ»

ومن روت بعذب حديثها كلماتي «وفاء»

وإلى زهرتيّ الجميلتين اللاتي غزلتا من حديثهما أجمل وسام لازلت أحمله في قلبي وبين ثنايا روحي

«رحاب جمال زكريا» «شيماء ماهر شتا»

وإلى صديقتي الحبيبة «أسماء صلاح أبو خلف»

وإلى كل صديقة صدوقة آزرتني ودعمتني بكلماتها الطيبة ونقدها البنّاء

وإلى كل روح معذبة آلمها الفراق وتجرعت من اللوعة والشقاء

أهدي إليكم كلماتي البسيطة علّها تكون ضوءًا ولو صغيرًا ينير عتمة الليل الطويل.

أمنية يحيى «رحيق البنفسج»

بأنامل مترددة أجاب على هاتفه النقال، وكأن التحدث إلى البشر صار قيدًا ثقيلًا يكبل روحه، أجاب أخوه بضجر، أغلق هاتفه وقد زاده همّا فوق همّ، ها هو من جديد يقنعه بشراء أرضٍ جديدة ويطلب منه تحويل الأموال اللازمة من أجل إتمام إجراءات الشراء والبناء.

داهمه اتصال من زوجته «ثناء» وقد تنفس الصعداء؛ فها هي رياح الشوق قد ألقت مرساتها على شاطئ قلبه أخيرًا، أجابها بلهفة أخفق في إخفاءها؛ فقابلتها «ثناء» بجمودٍ وبردٍ زاد من صقيع قلبه الحائر، ولم تترك له فرصةً ليبثّها شوقًا قد اشتد به؛ إذ باغتته قائلة:

- هل تحدثت إلى أخيك «مجدي»؟

رد بصدق:

- أجل، هاتفني منذ قليل، لِمَ تسألين؟

وكأنه بهذا السؤال قد حرك البركان الثائر في نفسها؛ فاندفعت تُلقي بحممها البركانية يمينًا ويسارًا بلا

هوادة:

- بالطبع انصعت إلى مطالبه الجديدة وو افقته في شراء تلك الأرض، وربما تكون قد أرسلت إليه الأموال الآن.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على زاوية فمه؛ فالآن يستطيع الربط بين الأمور، أخوه لا يلبث أن يجعله أداةً تُحقّق طموحاته مستخدمًا التوكيل الذي ألحّ عليه حتى منحه إياه، وكأنه بذلك قد سلّم إليه صكّ عبوديته واستغلاله، وها هي زوجته الثائرة التي ترى أنه يهدر أمواله على أسرته، وتظن أن أخاه ربما يمكر به ولا يعطيه أمواله.

انتبه إلى تلك العاصفة الهوجاء على هاتفه ورد بجمود:

- وماذا تريدين مني الآن؟

بغضبٍ كبير أمطرته بوابلٍ من الكلمات التي تصفه باللامبالاة، وكيف أنه لا يحسب حسابًا للزمن، وكيف

أنه لا يهتم لأطفاله المساكين، ثم أخذت تضرب على وتره الحساس وتُذكِّره بافتقادهم له، وكيف أنهم يقاسمونه ضريبة اغترابه، وبمشقّةٍ كبيرة أخفى تأثّره بنحيبها، وحاول أن يغير الحديث لكنها أبَّت إلا الشجار والإلحاح على رفضه طلب شقيقه، وبخاصة بعد علمها بتأخر أخيه في سداد ديونه له، وكيف احتال عليه مدّعيًا ضيق العيش وكثرة العيال؛ ليسامحه «هاني» في دينه، ضاق ذرعًا بحديثها وشجارها، ليته يستطيع أن يَبُثّها شوقًا تملّك قلبه وتغلغل كل ركن فيه، والتحم مع أوردته وشرايينه؛ فصار كبيت العنكبوت يبدو متماسكًا قويًا مترابطًا، لكنه أوهن البيوت.

- هذا يكفي.

نطقها صارخًا: فاخترقت الصرخة قلبها قبل أذنيها؛ فألقت بآخر أسلحتها إليه وهي تزفر بأنين:

- أنت لا تدري شيئًا عمّا أكابده في غيابك، أنت لا ترى

أوراقي وهي تذبل يومًا بعد يوم، وأنا أقاسي الليل وحدي ليس أمامي زوجي لأبثه ألمي وأشواقي، لا أجدك حين أمرض؛ فتخفف عني جراحي، لا أجد أمانًا تبثني إياه حين أشعر بالخطر، لا أجد كفّيك لتعانق كفِّيَ حين أفرح.

ثم أكملت بنبرة قاسية:

- أنت لست مهتمًا، ولربما تكون منعمًا الآن برفقة امرأة أخرى؛ لذلك لا تعيرنا اهتمامًا.

وقبل أن يصرخ بها ويرد على اتهاماتها كانت قد أغلقت الهاتف في وجهه كما أوصدت أبواب قلبها.

ألقى نظرة ساخرة حوله وهو يتمتم بحزن:

- يا لي من منعم!

ثم نهض متثاقلا وهو يرمق غرفته بضجر؛ فعليه الآن أن يجمع ثيابه ويقوم بغسلها ثم نشرها وكيّها، أتم مهمته الأولى بنجاح ثم أرسلت إليه معدته صيحات استغاثة؛ فحوّل وجهته إلى الثلاجة وتناول آخر علبة

تونة بغير رضا، انتابه القلق حين عدّ أرغفة العيش فوجدها قد لا تصمد معه حتى نهاية الأسبوع، وأحصى المعلبات المتوفرة لديه فانتابته حسرة تر افقها قلة حيلة.

تناول طعامه بغير شهية؛ فراودته نفسه عن نفسها ليذهب ويحضر طعامًا شهيًا، ازدرد ريقه حين اشتم رائحة اللحم والخُضر عند الجيران، الر ائحة أحكمت خطتها وراودته عن نفسه؛ ففتّش ملابسه بحثًا عن المال وأخرج من بنطاله المال، وارتدى ثيابه وأخذ مفاتيحه وهمَّ بالمغادرة، لكن صور أولاده الصغار وصوت زوجته الباكي ونواح أمه على فر اقه قد كبّل يديه فاستعصم، حاول النوم لكن أحلامه لم تخلُ من معاناته اليومية؛ فها هو مستقبله يلوح أمامه في الأُفق حتى سقط على أرض الو اقع حين ذاب حذاءه القديم وهو يبحث عن عمل يناسب مؤهله الجامعي، لكنه كان يرجع بخفّي حنين في كل مرة؛ فانخفض سقف طموحاته ورضي بأي وظيفة حلال؛ فعمل نادلاً في

مقهى وغسَل الصحون ونظّف الأرضيات، ودفع نصف راتبه في وسائل المواصلات، رقّ قلبه لحال والده، وكيف أنه يحمل همّ أخو اته البنات وما ينتظره من عاداتٍ بالية تجعله يستدين ليوفر لهن احتياجات الزفاف، عندها قرر السفر والاغتراب وعمل ليل نهار، كم صام ليطعموا؟ كم حرم نفسه من ملذات ليهنئوا؟! وكللت تضحياته بالنجاح حين أتم مهمته وزوّج الفتيات وساعد إخوته الذكور، وعندها جاء دوره لينال حظه من السعادة، شعر بفرحة تُدغدغ قلبه البائس حين و افقت «ثناء» على الزواج منه، وتم كل شيء في سرعة وتيسير، حلّق كالطير سعيدًا وهو يذكر لوالديه موعد سفره وأنه قرر سفر «ثناء» معه؛ فقامت الدنيا ولم تقعد، حينها خشيت والدته أن ينساهم؛ فأرادت أن تربطه بوتد صلب في بيتهم.

وبوجه صارم خالٍ من أية تعابير قابلت طلبه بالرفض:

- «ثناء» لن تسافر.

تساءل متعجبًا عن السبب؛ فباغتته أمه قائلة:

- من يقوم بخدمتي إن سافرَت هي، المنزل كبير وأنا بحاجة إليها.

فاندفع قائلاً:

- لديكِ كنات أُخر، وأخواتي أيضًا.

تنهدت في حسرة وهي تخبره بصدق:

- أخواتك صار وقتهن وحياتهن ملكًا لأزواجهن وأولادهن، وكناتي منهن من هي ذات حبلٍ ومنهن صاحبة الأولاد.

ثم نظرت إليه بحزنٍ مصطنع:

- هل تتخلى عني يا ولدي وتترك أبويك المسنّين عالة على الغير؟!

أُسقط في يديه؛ فلا زال يتذكر تلك الفترة، وكيف عانى الأمرّين حتى يقنع «ثناء»، ومر العام تلو العام وتباعدت فترات أجازاته حتى رُزق البنين والبنات من

«ثناء»، ولم يخفَ عليه كيف اشتد عودهم وذبلت وردته، لم يستطع مسامحة نفسه على خذلانه لها؛

فكم من مرة شكت له وحدتها فنهرها؟ وكم مرة شكت ظلم أهله لها فعنفها؟!

اختنق بذكرياته؛ فنهض متثاقلًا ثم توضأ وصلى ليبث حزنه وهمّه إلى الله.

* * * * *

تأملت نفسها في المرآة وهي امرأة على مشارف الأربعين قد خطَّ الشيب في شعراتها البندقية خطوطًا، لامست بشرتها الناعمة البيضاء، ولوهلةٍ طغت أنوثتها المكلومة على نفسها؛ فهمّت بفتح حقائب أدواتها التجميلية المغلقة منذ سنين، وألقت بهم أمامها؛ فهالها الغبار المتناثر حولها، هل أهملت نفسها لتلك الدرجة! شعرت بخيبة أمل حينما رأت أن معظم تلك الأدوات قد انتهت صلاحيته، مشطت شعرها بضجر وهي تفكك تشبيكاته المعقدة، وانتبهت لنفسها في المرآة وقد اغرورقت عيناها دمعًا وهي تقاوم تلك الذكرى، لكن بلا جدوى.

- لا، لا تقومي بقص شعرك يا «ثناء»، أحبه هكذا.

ثناء بعنادٍ طفولي:

- لكنه يزعجني، لا أستطيع تمشيطه يوميًا من شدة طوله.

هاني بمزاح:

- أنا سأمشطه لك.

انشق ثغرها عن ابتسامة ذابلة وهي تلوح بذاك المقص أمام عينيها: فقصت شعراتها الطويلة، مزقت جدائلها ودهستها تحت قدميها وهي تبكي وتئن، ألصقت ظهرها إلى الباب وهي تنوح على شباب مضى وأحلى سنوات العمر قد تسربت من بين يديها كالماء، مزّق الهمّ قلبها حين تنامى إلى مسامعها أصوات إخوته الذكور كل في بيته؛ فتسمع ذاك يؤنب ولده على سوء سلوكه؛ فتُشفق على ولدها اليتيم معنويًا، وتسمع الآخر يفخر بابنته ويمدح تفوقها؛ فتأكل الحسرة قلبها على ابنتها الكتومة التي صارت بئرًا للأسرار يعيش بينهم، لا تكاد تفصح عن مكنونات روحها، ثم يخترق صراخ الصغير أذنيها؛ فتسمع والده يهدئه ويحمله ويخفف من ألمه

فيتمزق قلبها، لملمت شتات نفسها ونهضت متثاقلة وهي تُمني نفسها بلقاءٍ قريب، وبعناية فائقة قامت بتزيين وجهها ومشطت شعرها بطريقة جديدة.

قامت بالاتصال بـ «هاني»، وستكون حازمة تلك المرة؛ فستطلب منه العودة والاستقرار معهم أو يسافروا هم إليه، بثت الشجاعة في نفسها وقامت بمحادثته، وطلبت منه فتح الكاميرا، لكنه قضى على أقل طموحاتها في سماع كلمات مدحٍ قليلة منه تمدها ببعض الطاقة لإكمال المسير حين فاجئها برفضه، كما انفجر في وجهها صارخًا متهمًا إياها بعدم المسؤولية وعدم مراعاتها انشغاله بعمله، أغلقت الهاتف بخيبة أمل وهي تمسح زخات المطر المتساقطة من عينيها، شعرت بكلماته كالخنجر الذي يقطع أوصالها قطعة قطعة.

كان نداء أم زوجها هو القشّة التي قسمت ظهر البعير؛ فها هي ترمقها بنظراتٍ متفحصة وهي تنثر اتهاماتها يمينًا ويسارًا بلا هوادة، وهي تخترق آخر جدران حياتها

الخاصة وهي تتساءل باتهام لِمَ تضع مساحيق التجميل؟ ومع من تتحدث في الهاتف؟ ولماذا تأخرت ولم تُجب نداءها بسرعةٍ كما المعتاد؟؛ فانفجرت فيها كالبركان الثائر وهي تدافع عن أبسط حقوقها الشخصية وتنعي كرامة داستها الأقدام، اجتمع أخوته ونسائهم ولم تسلم من النظرات الشامتة والكثير من الهمز واللمز؛ فتركتهم وما يفترون وتوجهت نحو شقتها وهي تضمّ أولادها وتجمع أشياءهم، نظّفت وجهها جيدًا وارتدت ثيابها الساترة، ومضت من بينهم وهي تجر أذيال الهمّ والحزن والألم، لم تلتفت لكلمات أم زوجها اللاذعة ولا نظرات الجيران الحائرة، ولكن اخترقت كلمات أحد المارة من صغار الشباب وهو يصفها بوصفٍ وقح ولا تزال نظراته السارقة تدمي قلبها.

لا تدري ماذا تفعل؟ وبمَ ستجيب والديها؟ وكيف سترد ادعاءات تلك المرأة؟ وماذا سيفعل زوجها حين تخبره أمه تلك بما ادّعته من افتراءات!

لاحت لها الإجابة في الأفق "غير متاح"، ستغلق هاتفها أمام الجميع، وغيّرت وجهتها لبيت عمها؛ فهو من سيتفهم وضعها، وهو الوحيد الذي سيزأر أمام الجميع مدافعًا عن كرامتها وعفتها، وستبدأ من جديد بداية جديدة، وستكون أكثر حزمًا تلك المرة؛ فإما العودة الدائمة أو السفر إلى زوجها وإلا..

تسارعت أنفاسها وهي تفكر في رفضه، ولاحت لها النهاية في الأفق ورددت بداخلها: "لا معنى للحب بغير كرامة واحترام متبادل".

* * * * *

زفر بألم وهو يلقي بحقيبته داخل الشقة، هو لم يكن يريد إغضابها، لكنها لا تتفهم انشغاله ولا تُراعي ظروف عمله، كيف سيفتح الكاميرا وهو يقود سيارة ذلك الثري العربي الذي يعمل لديه؟

كم مرة كادت تكشف كذبته وهي تتصل في أوقات عمله ظنًا منها أنه يعمل في منصب مرموق كما ادّعى أمامهم، وهو في الحقيقة يعمل سائقًا لدى ذلك الثري، وكيف

كان يخبرهم أنهم في العمل لا يثقون إلا به، وأنهم مستمسكين به لأقصى درجة ولا تقوم للعمل قائمة إلا به، في حين أنه يتعرض للتهديد والابتزاز شبه اليومي من كفيله ومن ذاك الثري؟!

لم تتفهم زوجته حاجته إليها، ولم تدرك ما تفعله به نظرات النساء ولا ملابسهن التي تجردت من الحياء؛ فصارت الملابس بحاجة إلى ملابس لتسترها، فيكاد يجزم أنه واقع بين شقّي الرحى؛ فإما العيش هنا في بُعد وجفاء وفتنة تلوح في الأفق، أو العودة للوطن خالي الوفاض بلا عمل وبلا نواة يتوكأ عليها ليضمن الأمان والسعادة لأطفاله.

قضى اتصال والدته وادّعاءاتها على ما تبقّى لديه من أمل، فلِمَ يعود؟ ولمن يعود؟ فها هي زوجته تفقد مصداقيتها لديه، وها هي أمه لا تبالي بغربته وتدفعه دفعًا للتضحية من أجل الجميع، وما زاد من همّه همّا فوق الهمّ هو إخبار أخيه له بأنه قد باع الأرض من أجل تزويج بناته، وأنه قد ترك له آخر قطعة أرض؛ فلربما

يعود يومًا ويبني بها حياةً جديدة.

أغلق هاتفه ومضى في طريقه يكمل عمله، ولم يعطِ لنفسه فرصة لينال قسطًا من الراحة؛ فأرهق بدنه ونفسه حتى يتناسى ما ألمَّ به، تغيرت معاملة أخيه كثيرًا حين أوقف عمل ذلك التوكيل، ولم ينس الراحة التي شعر بها حينها ويكأنه نشِط من عِقال، وقاطعته زوجته ورفضت العودة طالما لم يستجب لمطالبها ويعود.

يا للنساء! دائمًا يتعجلن الأمور؛ فهي غلّقت الأبواب في وجهه، ولم تعلم بما يحاول إنجازه بعد أن تخطى تلك المحنة؛ فقد أرسل مع صديق له مؤتمن وطلب منه بيع الأرض وشراء غيرها، وبناء المسكن الذي طالما رغبت به «ثناء»، لكنه لم يُرح قلبها ويخبرها بخطته؛ فقد تمنى رؤية السعادة تغزو ملامحها لينعم برفقتها و أبنائه.

- انتبه.. انتبه، احذريا رجل.

كانت تلك الصيحة هي آخر ما نما إلى مسامعه قبل أن

يغرق في بئرٍ سحيق.

* * * * *

كتمت شهقتها وهي تخفي وجهها بكفّيها، وتمتمت بكل كلمات الدعاء التي تعرفها؛ فرفعت يديها تدعو ربها أن ينجي زوجها «هاني» من موتٍ محقق.

عاد إليها أخيرًا إلى الأبد، لكنه عاد بشللٍ نصفي جرّاء ذلك الحادث الأليم، لن يجري خلف أولاده على درجات البيت الجديد كما وعدها، ولن يخرج برفقتها كما تمنت دومًا، لن يمطرها بكلمات الغزل والمديح كما حلمت يومًا، لن يمسك بكفّيها ليمرحا سويًا تحت المطر، عاد ولكنه عاد جسدًا بلا روح، وانتكست حالته النفسية كثيرًا، وصار غاضبًا حانقًا لا يستجيب للعلاج وكأن السعادة قد غادرته وهي تعلن أمامه للأبد غير متاح.

- هاني.. هاني، ألم تستيقظ بعد؟

فرك عينيه بتثاقلٍ وهو ينطق بصعوبة وعيناه تدور في

الغرفة بلا هوادة، تأملته أمه بتعجب وهي تسأله بلهفة:

- هل استخرجت جميع أور اقك الخاصة بالسفر؟

انتبه للحظة وهو يحرك قدميه ويديه بسعادة غير مصدّق أن كل تلك المأساة كانت كابوسًا؛ فقبّل رأس أمه وهو يجيبها بالرفض، ويخبرها كيف أنه غيّر رأيه وغيّر مسار حياته للأبد، استنكرت أمه حديثه ولم ترضيه، لكنها سرعان ما انتقلت إليها عدوى السعادة وتساءلت بحيرة:

- وعندما يتصل الكفيل بما أجيبه؟

أجاب بسعادة:

- غير متاح!